

الحل الوحيد لقضية الجزائر

بقلم رُفيع حنوري

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا التراث ليصبح ملكاً للشعوب الثائرة على ما صكوه لها من اغلال استعباد .

بالأمس أمر ايدن وغي موليه طياراتها وأساطيلها ان تدمر بور سعيد او تستسلم المدينة الشهيدة . فماذا يمثل ايدن من تراث بريطانيا في الرقي والحرية ؟ او ماذا يمثل غي موليه من تراث فرنسافي النور والمدنية ؟ ان آخ بحار بور سعدي ، ممن تلقوا قتابل المعتدين ، كان اقرب من ايدن وغي موليه بألف درجة الى قلب بيرون وروسو وعقلها !

فماذا إذا ؟ اجوز لنا ان نناشد دول المستعمرين باسم اولئك الاحرار الذين أنجبتهم شعوب هذه الدول في التاريخ ؟ لا لعمرى ! اننا نكون عندئذ كمن يتلو شعر المعري في الرفق والرحمة على ذئب من الذئاب ! والذئب له لغته التي لا يستعمل سواها ، لغة ابجديتها من الظفر والناب ، هي اللغة التي يستعملها المستعمرون مع الشعوب في كل مكان ، وهي اللغة التي يستعملها المستعمرون في الجزائر ، هؤلاء الذين يناشدهم السيد ادمون خياط لغة مشتقة من تراث الشعب الفرنسي في الحرية والمدنية ، هذا التراث الذي انكره المستعمرون الفرنسيون والذي أصبح ملكاً لنا نحن ابناء الشعوب الثائرة .

يدهش المستعمرون الفرنسيون من هذه الانتفاضة الرائعة التي يقوم بها شعب الجزائر منذ أكثر من ثلاث سنوات ، انتفاضة حشد المستعمرون الفرنسيون لقمعها جيوشاً تقدر باربعائة الف مقاتل مسلحين تسليحاً ثقيلاً ، وبرغم ذلك تتعاضم الانتفاضة ويتسع تيارها ، ويعمق ويقوى في صفوف الشعب الجزائري بدل ان يضعف ويخف .

ويلتمس المستعمرون الفرنسيون تفسيراً

وصلت إلي بالبريد في الشهر الماضي رسالة مفتوحة كتبها بالفرنسية كاتب لا معرفة لي به هو السيد ادمون خياط ، وصف نفسه بأنه مظلوم ، ظلمته فرنسا في الجزائر ، وذكر فيما ذكر ان هوة انحطاط اصبحت تفصل بين فرنسا ، ظلمته في الجزائر ، وفرنسا الايمان الذي آمن به ، فرنسا الثقافة التي أحبها والمثل التي تعشقتها !

انها لمشكلة من الخطر بمكان . مشكلة يعانها جيل اليوم أشد وأقسى مما عاناها جيل الأمس . كيف يمكن تفسير هذا التناقض الصارخ المثير بين الذين أنجبتهم أمة كالامة الفرنسية من فولتير الى روسو الى ديدرو الى جوريس حملة لمشعل فكر مستنير منير ، وبين من أطلعهم الدولة الفرنسية يضطهدون الشعوب ، ينشبون فيها الاظفار ويحكمون في رقابها الأنيار ؟ كيف يمكن تحليل هذا التضارب الفاضح الداعي الى المقت والغضب بين ما حفل به تاريخ الشعب الفرنسي من انقلابات مجيدة تحت شعار الحرية والمساواة والاخاء والعدالة وبين ما تصرّ عليه الحكومة الفرنسية من انتهاك اوطان الشعوب وابتزاز خيراتها ؟

ألا أنه أصبح واضحاً كالشمس في رابعة النهار ان الاستعمار يواجه اليوم دور النزاع والاحتضار . أصبح ذلك واضحاً لجميع خلق الله الا المستعمرين انفسهم . انهم اشد عمى من العميان . انهم متعمون ! وكلما آذنت ساعة سقوطهم وزوالهم باتوا أضرباً وادهى لا على الامم التي يستعمرونها فقط بل على أممهم نفسها ! واصبحوا أبعد عن تمثيل كل ما هو انساني وخير في تاريخ اممهم ، وتنكروا لتراثها الحر ، بل قصدوا قصداً الى تلويثه وطمسه ، فانتقل عنهم



الجزائر وطن عربي قائم بذاته ، لا فرنسي ، وان مطالبة هذا الوطن بالاستقلال حق مقدس كمطالبة فرنسا نفسها باستقلالها الوطني عندما احتلها الغزاة الهتلريون .

لو عقل المستعمرون الفرنسيون قليلا لما سكروا هذا السكر ليفيقوا فيجدوا انفسهم ، في وطن حسبوه جزءاً من وطنهم ، متورطين في حرب مع شعب باكملة ، حرب زجوا فيها اربعمائة الف من قواهم المسلحة وبلغت نفقاتها نحو ثلاثمائة مليون فرنك تنكبدها الامة الفرنسية المهركة فوق ما تتكبد من خسارة لا تعوض في السمعة المعنوية .

لو عقل المستعمرون الفرنسيون قليلا ، وكان همهم حقاً ان يحتفظوا بما يمكن الاحتفاظ به من علاقات على قدم المساواة بين فرنسا والجزائر ، او كان همهم حقاً ان يؤمنوا مستقبلاً مطمئناً للشركاء من المستوطنين الاجانب في الجزائر ، لعرفوا ان الأساس الوحيد لحل هذه المشكلة ، ليس هو البطش والتنكيل ، ولا محاربة العربية والعروبة ، ولا محاولة دس التفرقة بين عرب وبربر ، وانما هو التسليم باستقلال وطني للجزائريين تبتثق منه جمهورية جزائرية عربية وطنية ديمقراطية .

رأيف خوري

أي غد ؟

أي غد للشرق العربي ، وللبشرية جمعاء ؟

هذا هو السؤال الذي يرسم على افق حياتنا والذي يتحدانا بشدة واستمرار ، والذي يجب ان نكون واعين له ولتضمناته اذا اردنا السلامة والرفق .

وهذا هو موضوع الكتاب الذي صدر اليوم

للدكتور قسطنطين زريق :

أي غد ؟

دراسات لبعض بواعث نهضتنا المرجوة

دار العلم للملايين

لهذه الظاهرة العجيبة في نظرهم . ولو عقلوا قليلا لوجدوا انها ظاهرة تجري في طبيعة الأمور ولاسيما في الجزائر . فمتى كفت الجزائر عن المقاومة منذ ان احتلها المستعمرون الفرنسيون قبل قرن وربع ؟ لقد حارب الجزائريون الاستعمار بقيادة البطل عبد القادر ، وحاربوه بقيادة البطلة فاطمة ، واستغرق الاستعمار ، نحو سبعين سنة قبل ان استطاع بقوة السلاح ان يفرض سيطرته وقتاً ما على الجزائريين ثم استأنفوا اليوم محاربه في ظروف موضعية وعالمية جديدة .

فليست انتفاضة الجزائريين مدار الدهشة . كلا ، ولا مدار الدهشة ان تأتلف الاحزاب الجزائرية لتبني جبهة للتحرر الوطني ولينبثق من الشعب الجزائري جيش للتحرر الوطني . وانما مدار الدهشة كل الدهشة ان لا يفقه المستعمرون الفرنسيون ان زمن الاستعمار قد ولى ، وولت معه العلاقات التي كانت تقوم بين الأمم على أساس تحكم الدولة القوية في الشعب المستضعف . ان مدار الدهشة ان لا يفهم المستعمرون الفرنسيون ان القومية التحررية العربية أصبحت قوة فعالة في العالم اليوم ، وان العصر الذي كانت فيه كلمة عربي لفظة ازدرأ في افواه المستعمرين قد انطوى الى غير رجعة ، وباتت لفظة مستعمر هي التي تحمل معاني الازدرأ والحقارة . أجل ، ولو عقل المستعمرون الفرنسيون قليلا لأدركوا أنه من المضحك ان تقرر دولة مستعمرة ان بلداً ما من مستعمراتها هو جزء من وطنها لا ينفصل ، بينما تختلف القوميتان وتبقى العلاقات الاستعمارية قائمة بين الوطن و « الجزء » الذي دعي الى « الاتحاد » به . لو عقل المستعمرون الفرنسيون قليلا لأدركوا انه من الصعب حتى على انفسهم ان يصدقوا انفسهم ان المشكلة القائمة بينهم وبين الجزائر مشكلة داخلية ، لمجرد انهم قرروها وحدهم كذلك ، ولمجرد ان رضي بذلك نحو مليون من المستوطنين جعلهم الاستعمار في مركز ممتاز بالقياس الى عشرة ملايين من الوطنيين الاصلاء ، وملك نحو خمسة وعشرين الفاً من هؤلاء المستوطنين نحو خمسين الاراضي الزراعية في البلاد ، بل ملك نحو السبعين بالمائة من هؤلاء المستوطنين نحو نصف مليون فدان من اجود الاراضي وخلق طغمة من بارونات اقطاعيين في عصر تنهار فيه الاقطاعية إلا حيث ينعم الناس بنعمة الرسالة التمديدية الاستعمارية . لو عقل المستعمرون الفرنسيون قليلا لادركوا ان المشكلة القائمة بينهم وبين الجزائر لا تحلها القوة . بل لادركوا أن